**بحوث تشارلز جورنج وهوتون**

أجرى الطبيب الإنجليزي"جورنج" Charles Goring"1870-1919" بحوثه على"3000" سجيناً كلهم من المجرمين الخطرين وقارنهم بغيرهم من محترمي القانون، وقد استمرت بحوثه وتجاربه حوالي"8 " سنوات، استنتج منها: أن الجريمة ليس علّة مرضية يمكن تشخيصها ووضع دواء لها، وأن المجرمين ليسوا ذوي خصائص وميزات جسمية وعقلية يتميزون بها عن سائر الناس، وأنه لا توجد سمات تميّز المجرم عن غيره وكذلك لا يوجد فرق في مقاييس الجمجمة والعظام بين المجرمين وغيرهم من الأسوياء بعد أن قارن بين سعة جماجم طلاب جامعة أكسفورد وجامعة كمبرج وبين سعة جماجم المجرمين في السجون فلم يجد فرقاً ملحوظاً بين الفئتين، كذلك لم يجد فرقاً في نفس المقاييس بين أساتذة جامعة لندن والمجرمين، والفرق الوحيد الذي لاحظه هو أن المجرمين كانوا أقل في الطول والوزن، ويرجع ذلك إلى مستواهم الاقتصادي المنخفض وفرصهم القليلة في نمو أجسامهم. وقد نفى بشدة وجود العلاقات الفيزيولوجية المميزة التي نادى بها "لومبروزو "Lombros فهدم بذلك حجر الزاوية لنظريته."15"واختتم بحوثه بالعبارة التالية:-"إن النتائج التي توصلنا إليها بعد أبحاث مستمرة وإحصاءات دقيقة تشير إلى انه لا يوجد نموذج لإنسان مجرم يتميز بعلامات أو سمات جسمية، ثم إن هيئة الإنسان الخارجية لا علاقة لها بالسلوك الإجرامي."

ومع ذلك، فقد أشار"جورنج" Charles Goring إلى وجود بعض السمات الجسدية ذات العلاقة بأنواع محددة من الجرائم مثل ارتكاب جرائم السرقة من قبل أشخاص صغار ضعاف البنية تميزهم عن غيرهم ممن يرتكبون جرائم مختلفة، إلا أنه اختلف مع" لومبروزو " في تصنيفه للمجرمين حيث أضاف إلى سمات" لومبروزو" البدنية، سمات أخرى ذات علاقة بالوضع الاجتماعي والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المجرم، ووفقاً لذلك صنّف عينة دراسته التي أجراها على نزلاء السجون في أربع طبقات اجتماعية وسبع حرف مهنية، نلخص بعضاً منها فيما يلي:

\* يمكن التمييز بين الطالب الجامعي بجامعة إنجليزية وبين زميله بالجامعة الاسكتلندية بناءً على خواص الطالبين ومقاساتهما البدنية أكثر من إمكانية التنبؤ فيما إذا كان أيّ منهما سيصبح مجرماً أم أستاذاً جامعياً.

\* تقل أطوال المجرمين عن الأسوياء في المهنة الواحدة بما يعادل"4" سم.

\* يتولد الميل إلى الجريمة والجناح في منزل الأسرة.

\* الطبقية الاجتماعية والظروف البيئية أو الصدفة تعد ذات أثر بسيط جداً في انحراف الفرد وإجرامه .

**بحوث العالم هوتون "عودة إلى المجرم العضوي"**

كان لنظرية" لومبروزو " Lombros صدىً كبيراً في أوربا وأمريكا فعارضها البعض، وقبلها البعض الآخر وسلّم بما جاء بها، وكان على رأس هؤلاء العالم الأمريكي"أرنست هوتون "E. Hooton "1887-1954" وهو من أساتذة جامعة هارفارد، الذي حاول عن طريق بحوثه الميدانية التي استمرت زهاء "12" عاماً أن يثبت صحة نظرية" لومبروزو " "وقام بدراسة ما يقرب من أربعة عشر ألفاً من المجرمين المدانين في السجون، مقابل عينة من غير المجرمين تقارب ربع عدد هؤلاء. ثم قام أيضاً خلال سنوات لاحقة بدراسة ميدانية أنثروبولوجية على"5680" نزيلاً من نزلاء السجون، توصل خلالها إلى توزيعهم على"9" أجناس بشرية، والتي ذكر فيها بأن هذه الفئة من المجرمين ممن تتوفر لديهم شذوذ عضوي إنما يمثلون انحرافاً عن المعدل في سماتهم العضوية عمّا تتسم به الأجناس البشرية التي ينتمون إليها. وفي دراسة أخرى له قام هوتون بفحص"17680" نزيلاً من نزلاء السجون في الولايات المتحدة الأمريكية وفحص" 1976" شخصاً من غير المجرمين وطبق على كل منهم مجموعة من المقاييس والاختبارات الانثربولوجية، وكذلك قياس الملامح المورفولوجية أي السمات التشكيلية والبنائية Morphological. ولقد كشفت هذه الدراسة عن وجود فروق واضحة بين المجرمين والأسوياء.

وبناءً على هذه النتائج توصل"هوتون " E. Hooton إلى ما يأتي:

\* توجد صفات خاصة موروثة يتميز بها المجرمون، وأن هذه الصفات لها علاقة بشكل العينين والأنف والفم والأذنين والجبهة كما تتعلق بمقاييس هذه الأعضاء.

\* توجد جرائم معينة ارتكبها مجرمون لديهم صفات مشتركة تميزهم عن غيرهم ممن ارتكبوا جرائم أخرى، فمثلاً وجد أن جرائم القتل والعنف والتزوير والنصب تزيد مع زيادة الطول.

\* يتمتع المجرمون بصفات انحطاطية موروثة.

وبالرغم من أن" هوتون " تجنب النقد الذي وجه إلى" لومبروزو" الذي يتعلق بأسلوب البحث قام بدراساته باستخدام المجموعة الضابطة من غير المجرمين إلا أن نظريته هي الأخرى لم تسلم من النقد الذي تجسد في الآتي:

\* لا يمثل نزلاء السجون عينّة المجرمين تمثيلاً صحيحاً، فهؤلاء هم فقط الذين ثبت لدى القضاء إجرامهم، وهناك خارج السجون ممن ارتكب الجريمة ولم يكشف أمره، أو قضي ببراءته لعدم كفاية الأدلة أو الذين حكم عليهم مع إيقاف التنفيذ.

\* الاعتقاد بوجود سمات مشتركة قد تتشابه إنما تمثل اعتقاداً زائفاً يعتمد على مشاعر وهمية تعتقد الأغلبية في صحتها وتسلم بها وكأنها حقيقة واقعة، في حين أنه لا أساس لها من الصحة.

\* اختلاف الصفات المميزة لبعض المجرمين عن البعض الآخر وفقاً لاختلاف نوع الجريمة المرتكبة، هذه النتيجة مشكوك في صحتها لأن"هوتون" استخلصها من دراسة الجريمة التي دخل من أجلها المجرم السجن بينما قد يكون ارتكب قبل ذلك جرائم من نوع آخر.

\* اقتصرت نظرية"هوتون" على العوامل الفردية، وأغفلت تأثير العوامل الاجتماعية.